الفصل الثاني:

المقاتلون الفلسطينيون في الحرب

أسماء الغرباوي

دأبت معظم المراجع العربية عن الحرب العربية الإسرائيلية الأولى (١٩٤٧ - ١٩٤٨) على تجاهل الدور البطولي للمناضلين الفلسطينيين، في بداية الحرب العربية الصهيونية، التي اندلعت عقب التصويت على قرار التقسيم مباشرةً، وحتى دخول الجيوش العربية إلى فلسطين (١٩٤٨/٥/١٥). حتى " الموسوعة الفلسطينية " أغفلت ذلك الدور[١]. وكان من سوء حظ الشعب الفلسطيني أن معظم الأقلام الحرة ضلت سبيلها، أو أخطأت غايتها، بسذاجة، وحسن نية، فكانت الخطة التي اتبعتها، هذه الأقلام، هي توهين عزائم الأمة العربية، وتهوين النكبة عليها، عن طريق " فلسفة " النكبة، بشكل يوهم القارئ العربي، أن ما حدث، كان لابد من حدوثه، لأنه طبيعي، أو لأنه لا قبل للعرب برده أو تقويضه[٢].

نتحدث الآن عن دور المناضلين الفلسطينيين، خلال تلك الحقبة الخطيرة من تاريخ فلسطين (١٩٤٧ - ١٩٤٨)، " فنسجل بكل زهو

(١) **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني (الدراسات الخاصة)، بيروت، ١٩٩٠(انظر: د. هيثم كيلاني، حروب فلسطين العربية - الإسرائيلية، ص ٤٧٨ - ٥١٠).

(٢) نقولا الدّر، **هكذا ضاعت.. وهكذا تعود - دور النفط والمدفع في تحرير فلسطين**، بيروت، مطابع دار الحوداث، ١٩٦٤، ص ٦٧.

وفخر، أن الشعب الفلسطيني كمجموع، وخاصة طبقة الفلاحين والعمال، وعلى الرغم من ضعفه وقلة عدده، ثبت في وجه الاستعمار، ثباتًا عجيبًا، فما ذل ولا لان، وما هان ولا استكان " [١]. وقد ذكر حاييم وايزمان في مذكراته: " إن مقاومة الفلسطينيين العنيفة، ومواقف السيد أمين الحسيني، هي التي أخرت تنفيذ البرنامج اليهودي في فلسطين إلى عام ١٩٤٨، بينما كان مقررًا له أن يتحقق في عام ١٩٣٤، على الأكثر " [٢].

ما أن صدر قرار التقسيم، في ٤٧/١١/٢٩، حتى اندلع القتال بين العصابات الصهيونية الثلاثة (الهاغانا، الأرغون، شتيرن)، وبين المناضلين الفلسطينيين، بعد أن كانت الفكرة السائدة بين الحكومات العربية أن القتال في فلسطين لا يحتاج إلى قواتٍ نظامية، أو بالأحرى كان قادة الجيوش العربية يقولون إن جيوشهم غير مستعدة لدخول حرب نظامية، وكانت الجامعة العربية ترى أن الرجال المتطوعين يستطيعون أن يقضوا على اليهود، أو يمنعوهم من إقامة دولتهم، وأن الجيوش العربية يجب أن تستخدم للتهديد فحسب! غير أن هذه الدول التزمت بقرارها عدم الدخول، حتى يجلو عن فلسطين آخر جندي بريطاني، الأمر الذي لم يتم، إلا في ١٤ أيار/ مايو ١٩٤٨[٣]. ونظرًا لأن فلسطين وديعة مقدسة في عنق الدول العربية، فإن الاعتماد الكلي على الدول العربية لم

(١) إميل الغوري، **المؤامرة الكبرى - إغتيال فلسطين ومحق العرب**، القاهرة، دار النيل للطباعة، ط١، ١٩٥٥، ص١٩٨.

(٢) **المصدر نفسه**، ص ١٩٩.

(٣) محمد فائز القصري، **حرب فلسطين عام ١٩٤٨ - الصراع السياسي بين الصهيونية والعرب**، الجزء الأول، دمشق، دار المعرفة، ط١، يوليو/ تموز ١٩٦١، ص ١٢٤.

يحقق النتائج التي كان عرب فلسطين يأملون فيها، وربما كان له تأثير سلبي من الناحية العسكرية، إذ بالرغم من أن المشاركة العربية في حرب ١٩٤٨ كانت رمزية، لم تصل إلى المستوى المناسب للمواجهة، من حيث التدريب، والتسليح، والتنسيق. فقد استغل الصهيونيون هذا التدخل لكي يصوروا للعالم وكأن نصف مليون يهودي كان عليهم أن يواجهوا جهدًا عربيًا موحدًا لسبع دول، ذات جيوش نظامية[١].

بعد أن اشتركت الجيوش العربية في معارك معدودة، وجدت نفسها عاجزة عن الاستمرار في القتال، ولم تنجح هذه القوات، حيث افتقرت إلى الخبرة، والإمكانات العسكرية، في ضوء ذلك، توجب على الفلسطينيين أن يواجهوا، وحدهم، القوات الصهيونية بأشكالها المتعددة، النظامية وغير النظامية، وأن يأخذوا بالحسبان، أيضًا، وجود القوات البريطانية الحامية للوجود الصهيوني في البلاد، وذلك طيلة الفترة الممتدة بين كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤٧، وآيار/ مايو ١٩٤٨، معتمدةً على الإمكانات المحدودة لديهم. مما يجعلنا نتساءل: كيف استطاع المناضلون الفلسطينيون الصمود في وجه العدو، خمسة أشهر متصلة، قبل دخول الجيوش العربية؟ وكيف حافظ المناضلون الفلسطينيون على ٨٠% إلى ٨٢% من مجموع الأراضي الفلسطينية في أيدي العرب الفلسطينيين؟!، وهكذا تسلمتها، الجيوش العربية، لكن هذه الجيوش قلبت الآية، وكفت عن القتال، لكن بعد ما تركت للكيان الصهيوني ٧٨% من مجموع الأراضي الفلسطينية.

(١) الموسوعة الفلسطينية، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٠٥.

كيف تبلور المناضلون الفلسطينيون؟

كانت حركة الكشافة من أهم حركات الشبيبة، التي قامت بأدوار معينة، في مدن البلد الكبرى، وخصوصاً يافا، وبرز أعضاؤها، بصفتهم منظمين وأدوات ارتباط في أيام التحركات الثورية. وفي سنة ١٩٤٥، انسحبت أفواج من الكشافة العرب من المنظمة الرسمية للكشافة، التي كانت قائمة في إطار جهاز التعليم الحكومي، وأنشأت اتحاداً قطرياً للأفواج العربية القومية، بقيادة فوزي النشاشيبي. وفي سنة ١٩٤٦، برزت، أيضاً، منظمات شبه عسكرية للراشدين. كانت أولاها (النجَّادة)، التي أسسها المحامي محمد نمر الهواري، في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤٥. وهي غير حزبية، واتخذت من يافا مركزًا لها، ووصل عدد أفرادها، في صيف سنة ١٩٤٦، إلى ٢٠٠٠ رجل، وقد ذكر في المنشور الأول إلى الشعب العربي في فلسطين أن هدف (النجَّادة) هو " توحيد الشباب، وايقاظ مشاعره القومية، وتنشئته على الانضمام، والنظام، والتضحية، وربط فلسطين بالدول المجاورة " [١].

وفي حملة آل " الحسيني "، من أجل السيطرة على الجمهور العربي في فلسطين، لم ينسوا " النجادة ". فلدى عودة رئيس " الحزب العربي "، جمال الحسيني عينه الهواري نائبًا للقائد الأعلى للمنظمة (القائد الأعلى: المفتي). لكن هذا التعيين كان رمزيًا. وعندما تأكد آل الحسيني من أن الهواري يرفض قبول سلطتهم الكاملة، أحيوا، في أيلول/ سبتمبر ١٩٤٦،

(١) **حرب فلسطين ١٩٤٧ - ١٩٤٨ (الرواية الاسرائيلية الرسمية)**، ترجمة أحمد خليفة، بيروت، مؤسسة الدرسات الفلسطينية، تموز/ يوليو ١٩٨٤، ص ١٢.

منظمتهم التي سبق أن تأسست في سنوات الأحداث، وتفتتت في أثناء الحرب، تحت اسم (الفتوة)، وأُنشئت فروعٌ لها في القدس والقرى المجاورة، وترأس المنظمة كامل عريقات، وهو ضابط سابق في الشرطة السرية في القدس. وكان رمز المنظمة الجديدة فارسًا يحمل بيده رايةً، واشتمل قسمها على: عهد بالمحافظة على عروبة فلسطين، ومقاومة الوطن القومي اليهودي، والإخلاص للوطن، والموت في سبيله[١].

كانت العلاقات بين المنظمتين متوترة، ولم تنجح المحاولات المتواصلة لتوحيدهما. وازداد ضغط آل الحسيني لتصفية " النجَّادة "، التي اعتبروها نقطة تجمع لمعارضيهم. وفي آيار/ مايو ١٩٤٧، عين المفتي ضابطًا مصريًا متقاعدًا، هو محمود لبيب، قائدًا أعلى " لمنظمة الشبيبة العربية ". وحضر لبيب إلى البلد، ومورس ضغطٌ شديد على " النجَّادة "، للإنضمام إلى المنظمة الجديدة. وفي ١٩٤٧/٦/١٤، أعلن الهواري دمج منظمة الشبيبة، التي عين كامل عريقات رئيسًا لها. وبعد فترة قصيرة، اضطر محمود لبيب إلى مغادرة البلد، بعد أن رفضت السلطات البريطانية تمديد إذن اقامته[٢]. لكن سيطرة آل الحسيني على منظمات الشبيبة العربية باتت كاملة.

الهيئة العربية العليا

معروفٌ أنه غدا في فلسطين، في عام ١٩٤٤، ستة أحزاب عربية

(١) **المصدر نفسه**، ص ١٢ - ١٣.
(٢) **المصدر نفسه**، ص ١٣ - ١٥.

فلسطينية، هي: [1]

١- الحزب العربي الفلسطيني (المعروف بحزب المفتي) ترأسه جمال الحسيني.

٢- حزب الدفاع الوطني (المعروف بحزب المعارضين) ترأسه راغب النشاشيبي.

٣- حزب الإصلاح (ترأسه الدكتور حسين الخالدي).

٤- حزب الكتلة الوطنية (ترأسه عبد اللطيف صلاح).

٥- حزب مؤتمر الشباب (ترأسه الحاج محمد يعقوب الغصين).

٦- حزب الاستقلال (ترأسه عوني عبد الهادي).

عندما أُعلِنَ الإضراب العام، في البلاد في ٢٠/٤/ ١٩٣٦، إتحدت تلك الأحزاب، فألفت هيئة إئتلافية سميت (اللجنة العربية العليا)، من رؤساء الأحزاب السابق ذكرهم، مضافًا إليهم المفتي الحاج أمين الحسيني، وكان يشغل منصب رئيس المجلس الإسلامي الأعلى، وقد انتخب رئيسًا للجنة، وأحمد حلمي باشا نائبًا للرئيس، وأمينًا للمال. وتولت هذه اللجنة قيادة الحركة الوطنية في فلسطين، إلى أن أصدر المندوب السامي البريطاني أمرًا بحلها، ونفي أعضائها. وتمكن الحاج أمين الحسيني من مغادرة البلاد إلى لبنان، سرًا. ونفي عدد من أعضاء اللجنة العليا إلى جزيرة سيشل، وظل الحسيني يوجه الحركة الوطنية من خارج

(١) الغوري، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٢٩.

البلاد [١]، حتى أطلق صراحهم وسمح لهم بالعودة إلى وطنهم (١٩٣٩)، فعادوا، ولكنهم راحوا يعملون متفرقين، إذ أعاد " الحزب العربي " تأليف " اللجنة العربية العليا " (١٩٤٥)، وتألفت من الأحزاب الأخرى هيئة ثانية، سموها (الجبهة العربية العليا). ولما عقد مجلس الجامعة جلسته المشهورة، في بلودان (١٩٤٦)، رأى المجلس أن يعمل على توحيد الأحزاب الفلسطينية، واقترح مقرر اللجنة، إلغاء كل من (اللجنة العربية العليا)، و(الجبهة العربية العليا)، وتأليف (الهيئة العربية العليا)، على أن يحتفظ بالرئاسة إلى الحاج أمين الحسيني (رئيسًا)، وجمال الحسيني (نائبًا للرئيس)، والدكتور حسين الخالدي (سكرتيرًا) [٢].

شكلت " الهيئة العربية العليا " في كل مدينة وقرية فلسطينية، لجنة محلية للمقاومة. وانبثق عن هذه اللجان لجنة مركزية، أُطلقَ عليها اسم " اللجنة القومية العامة ". وتشعبت من هذه اللجنة لجان فرعية لجمع المال والسلاح، ولجان دعاية لصالح قوات المجاهدين، كما تمت إعادة تشكيل " قوات الجهاد المقدس ".

رغم الصعوبات في العثور على السلاح، وإيصاله إلى فلسطين، وارتفاع أثمانه فقد تمكنت " الهيئة العربية العليا " من شراء ٥٣٩٦ بندقية، و٣٠٩ مسدسات، و٨٠٨ رشاشات مختلفة الأحجام، و٢١٣ مدفعًا من أنواع الهاون، والمورتر، ومضاد للدبابات، و٦ ملايين طلقة للبنادق،

(١) الموسوعة الفلسطينية، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٧.

(٢) عارف العارف، **النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧ - ١٩٥٢**، الجزء الأول، صيدا - بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، د. ت.، ص٤٤.

ونحو مليون طلقة للرشاشات، ونحو ١٥٠ ألف قنبلة يدوية [١]. وأسست الهيئة، في الوقت نفسه، ورشة فنية في مرسى مطروح، بصحراء مصر الغربية، وثلاث ورش لصيانة السلاح في القاهرة، وفي داخل فلسطين، ومعملاً لتعبئة الذخيرة في دمشق، وعنابر ومخازن للسلاح والذخيرة في دمشق، وبيروت، وصيدا، والسلوم، ومرسى مطروح، والقاهرة، والعريش، وعدة أماكن في فلسطين. و بلغ مجموع ماأنفقته " الهيئة " ثمنًا لهذه الأسلحة، وصيانتها، ونقلها، ٣٣٠.٨٠٠ جنيه فلسطيني*، ولولا ذلك لما تمكن الفلسطينيون من الصمود في وجه العدو، ما يربو على خمسة أشهر من قرار التقسيم، وحتى دخول الجيوش العربية " [٢].

الجهاد المقدس:

في مستهل إعادة تكوين " الجهاد المقدس "، عام ١٩٤٧، اختيرت القدس مقرًا لرئاسة الجهاد المقدس، التي تشكلت من: [٣] عبد القادر الحسيني رئيسًا، وكامل عريقات نائبًا للرئيس، وقاسم الريماوي أمينًا للسر، ومالك الحسيني مسئولاً ماليًا، و عاصم الجندي مسؤولاً للتموين، وموسى شيبان (سوري) مسؤولاً للنجدات السريعة، ومنير أبو فاضل (لبناني) مفتشًا عسكريًا، وداوود الحسيني مفتشًا للشؤون الإدارية. كما تم تعيين عدد من قادة القطاعات، تحت إمرة القيادة المذكورة، من بينهم

(١) الغوري، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٠٤.

(*) كان الجنيه الفلسطيني، آنذاك، مساويًا للجنيه الاسترليني.

(٢) انتصار خليل الشنطي، **دور المجاهدين الفلسطينيين، صامد الاقتصادي** (عمان)، العدد ١١٣، تموز/ يوليو، آب/ أغسطس، أيلول/ سبتمبر ١٩٩٨، العدد ١١٣، ص ٣٧.

(٣) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ص ٧٣.

ضباط من سوريا، والعراق، ولبنان.

التنظيم الداخلي للجهاد

صنّف العاملون في الجهاد المقدس إلى الفئات التالية: (١)

المجنـــدون المقـــاتلون: وهم من الفلسطينيين، والمتطوعين العرب. ومهمتهم نشر الثورة، وقطع طرق المواصلات البريطانية والصهيونية، ومواجهة أعمال الإرهاب الصهيوني. وكانت " الهيئة العربية العليا " تؤمّن لهم السلاح، والعتاد، وتدفع لهم رواتب شهرية رمزية، وتألف الفصيل من ٨ - ١٠ مقاتلين.

المجندون المرابطون: من المواطنين المقيمين في القرى، الذين تولوا الدفاع عن قراهم، والمناطق المجاورة لها. وقدر عددهم بأكثر من ١٨ ألف مجاهد، متوسطي التسليح، والتدريب. وكانت " الهيئة " تؤمّن لهم بعض السلاح، والعتاد، والمال.

فصـــيل التـــدمير: تألف من المجندين المختصين بعمليات النسف والتدمير، وقد شهدت هذه الفئة تقدمًا ملموسًا، وبفضل انضمام عناصر مدربة على يد خبراء ألمان، وضباط عرب، وبخاصة من سوريا والعراق.

فصيل الاغتيال: انتخب من العناصر الفلسطينية المتحمسة، وكانت مهمتة اغتيال الخونة، والسماسرة وباعة الأرض لليهود، والقضاء على

(١) د. محمد خالد الأزعر، **جيش الجهاد المقدس في فلسطين ١٩٣١ - ١٩٤٩**، ط١، غزة، المركز القومي للدراسات والتوثيق، ٢٠٠٠، ص ٢٨ - ٢٩.

العناصر البريطانية المعادية لعروبة فلسطين. وقد أحدث هذا الفصيل ارتباكًا في البلاد، بعد أن قامت عناصر مضادة للجهاد باغتيال أناس أبرياء، ونسبت ذلك لقوات الجهاد.

ميـــــدانيًا: توزعت قوات " الجهاد المقدس "، بعد اشتداد حدة الاشتباكات بين الجانبين العربي الفلسطيني والصهيوني، غداة قرار التقسيم، على سبعة مناطق قتالية، هي: القدس، بيت لحم، رام الله، المنطقة الغربية الوسطى، المنطقة الجنوبية، المنطقة الغربية، المنطقة الشمالية. وهو توزيع كان كفيلاً بتغطية معظم أنحاء فلسطين، بما يدعو للتساؤل حول القدرة الحقيقية على أداء المهمات الدفاعية، والهجومية لقوات " الجهاد "، في مواجهة التنظيمات الصهيونية التي بلغ قوامها - على أسوأ التقديرات - في ذلك الحين، زهاء ٦٠ ألف مقاتل، ممن أحسنوا، نسبيًا، التدريب، والتسليح، والتنظيم. ولم يكن عدد قوات " الجهاد " ثابتًا في المناطق المذكورة، ففي القدس كان العدد يصعد، أحيانًا، إلى ألف مقاتل، أو يهبط إلى خمسمائة، بحسب الظروف، ولم يكونوا جميعهم مسلحين دائمًا. هنا يتضح لنا الفرق الكبير في التدريب، والتسليح، والتنظيم بين الطرفين، العربي - الفلسطيني، والصهيوني.

معارك الجهاد:

على الرغم من افتقار التسليح والتمويل، فإن قوات " الجهاد المقدس " خاضت معارك مشرّفة كثيرة، قبل ١٩٤٨\٥\١٥ - تاريخ دخول الجيوش العربية - حيث أوقعت هذه المعارك خسائرملموسة بأفراد العصابات الصهيونية المسلحة.

من هذه المعارك، معركتي بربرة، الأولى والثانية، في آذار/ مارس، ونيسان/ إبريل ١٩٤٨، ومعركة جولس (١٩٤٨/٤/١٢). ومعركة جبل سكوبس في القدس، التي انتقمت فيها قوات الجهاد لاستشهاد زعيمها عبد القادر الحسيني. وذلك بهجومٍ قوي، قاده الشهيد حسن سلامة، ضد قافلة يهودية متجهة إلى جبل سكوبس، في ١٩٤٨/٤/١٣، أسفرت عن مصرع نحو ٤٠ شخصية يهودية بارزة في القافلة، التي كانت تنقل مؤنًا، وذخيرة، من الأحياء اليهودية بالقدس، إلى مستشفى هداسا، والجامعة العبرية. ومعارك دير أبي طور، في ١٩٤٨/٧/٢٧، والنبي داوود، في ١٩٤٨/٨/١١[١].

في قطاع الجليل بالشمال، خاضت قوات " الجهاد المقدس " معارك موفقة، مقارنة بالقوة اليهودية المضادة، أشهرها معركة أبو شريتح (غرب ترشيحا)، ومعارك مجد الكروم، والكابري، والبروة، وأبلت " الجهاد " جميعًا بلاءً حسنًا. كذلك أظهرت هذه القوات قدرات طيبة في معارك قطاع القدس عمومًا، والتصدي للقوافل اليهودية على الطرق وخطوط المواصلات، والرد على حملات التدمير الصهيونية ضد المراكز العربية.

كما امتلك رجال فصيل التدمير في " الجهاد المقدس " باعًا طويلة في العمل العسكري. فقد ردوا على المتفجرات اليهودية في بابي العامود، والخليل، بالقدس بأعمال أكثر جرأة وفاعلية. حين زودوا سيارة نقل بريطانية عسكرية بمتفجرات تزن طنًا ونصف من مادة (ت. ن. ت)،

(١) **المصدر نفسه**، ص٤٦.

وفجّروها في شارع هاسوليل، داخل الأحياء اليهودية في القدس الجديدة، فدمروا ثمانية بنايات للقيادة الصهيونية، منها جريدة " بالستين بوست "، وجريدتي " علهمشمار " و " هاشكيفها ". ومن هذا القبيل، أيضًا، تفجير شارع يهودا، أكبر الشوارع اليهودية بالقدس. وكذلك مجموعة من التفجيرات في كلٍ من تل أبيب، وحيفا، ويافا[١].

ثمة اتفاق نسبي بين المصادر العربية والصهيونية على أن الأشهر الأولى، عقب قرار التقسيم، شهدت أرجحية للجانب الفلسطيني، وبدا من بعض طوائف اليهود وأوساطهم جنوح إلى التسليم، وقبول التعاون مع العرب، واعتقادًا بأن مستقبلهم، ومستقبل فلسطين، مرتبط بذلك، بل وسرى التشاؤم إلى زعمائهم، حيث صاروا يقولون إن معركتهم خاسرة، إذا لم يتيسر لهم فرقتان كاملتان في معداتهم، تنزلان إلى الميدان، خلال ثلاثة أشهر[٢]، حتى أن المندوب الأمريكي في مجلس الأمن، وارين أوستن، اقترح على مجلس الأمن الدولي، في ١٩٤٨/٣/١٩، إصدار قرار يلغي قرار التقسيم، وذلك حتى تحمي الإمبريالية الأمريكية المشروع الصهيوني من الانهيار، فكان في ذلك بوادر نصر فلسطيني عظيم، لم تلبث أن ضعفت، فما كان من القيادة الصهيونية، إلا أن تفتق ذهنها عن حل فريد، فنظمت تلك القيادة، مذبحة دير ياسين، في ١٩٤٨/٤/٩، ومن هنا بدأ ميزان القوى يميل لصالح الصهاينة، بعد أن بدأت الذخائر تنفد من المناضلين الفلسطينيين، ومع شحة الأسلحة،

(١) **المصدر نفسه**، ص ٤٧.

(٢) محمد عزة دروزة، **حول الحركة العربية الحديثة، تاريخ ومذكرات وتعليقات**، الجزء الرابع والجزء الخامس، صيدا - بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٥١، ص ١٢٧.

وامتناع الحكام العرب عن مد أولئك المناضلين بالسلاح والعتاد، ناهيك عن أن أجهزة الاعلام الرسمية والعربية أساءت توظيف مذبحة دير ياسين، مما أوقع الرعب في نفوس أبناء الشعب الفلسطيني، على أعراضهم قبل أرواحهم، مما خدم الجانب الصهيوني، فيما لم يؤثر على الرأي العالمي، أي تأثير يذكر.

فرقة التدمير العربية:

أراد عبد القادر الحسيني، قائد الجهاد المقدس، تكريم ستة من الفدائيين العرب، من أهالي بيت المقدس، بعد محاولتهم نسف الفندق اليهودي (عدن)، القائم في أقصى حي بن يهودا من الغرب، لكنهم فشلوا بعد أن تصدى لهم، يومئذ، رجال الجيش البريطاني، فأحبطوا مساعيهم قبل ساعة التنفيذ ببضع ثوان. فألف الحسيني فرقة أسماها (فرقة التدمير العربية)، التي اتسع نطاقها مع الأيام، وازداد عدد رجالها، فأصبحوا خمسة وعشرين مناضلاً، هم فوزي القطب، عبد القادر فرحات المعروف بأبي محمد السدمير، ومحمد علي الكرد، وعادل شرف، ويعقوب أبو حليمة، وياسر شرف، وخليل دكيرك، وزيد غنيم، وجواد الجاعوني، ومحمد الشرفا، ويوسف الحايك (هؤلاء من القدس)، ومحمود دعيبس، ونادي دعيبس، وعبود غيث، و محمود الهنيني (هؤلاء من الخليل)، وحلمي البرق (من نابلس)، ومحمود العكاوي (من عكا)، وعطا عثمان، وناجي مصطفى وأخوه (من عمواس)، وكاظم صالح المغربي (من المغرب)، وداوود البيتوني (من بيتونيا)، وعبد الرحمن السيلاوي (من سيلة الظهر)، وعبد القادر التونسي (من المغرب)، وعبد الله

كمردوس[1].

نجح هؤلاء بقيادة فوزي القطب، في أعمالهم، وعاد إليهم الفضل في نسف معظم منازل الصهاينة، وسقوط الحي اليهودي بالبلدة القديمة.

اللجنة العسكرية:

انبثقت عن الاجتماع الذي عقده مجلس الجامعة العربية، في عالية بلبنان، في ٧ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٤٧، لجنة، أسموها (اللجنة العسكرية)، قوامها: [2]

أمير اللواء الركن إسماعيل صفوة ياشا (عن العراق)، المقدم محمود الهندي (عن سوريا)، فؤاد عمون، وقد استبدل به، بعد قليل، المقدم الركن شوكت شقير (عن لبنان)، عزة دروزة (عن فلسطين). وانضم إلى اللجنة، بعد قليل، طه باشا الهاشمي، كمفتش عام للمتطوعين.

اتخذت اللجنة العسكرية من دمشق مقرًا لأعمالها. وتمنى الكثيرون، وفي مقدمتهم أبناء فلسطين، لو اتخذت تلك اللجنة من القدس مقرًا لها، لتكون قريبة من ميدان القتال.

عقدت اللجنة عدة اجتماعات، فجاء اجتماعها الثاني، في ١٠/٨، حيث بحثت مسألة القتال في فلسطين، وفي اليوم الثالث (١٠/٩) رفعت إلى مجلس الجامعة تقريرًا سريًا، موضحة ومحذِّرةً من مخاطر الوضع

(١) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ص١٣٤ - ١٣٥.
(٢) **المصدر نفسه**، ص ١٦.

بعد انسحاب بريطانيا من فلسطين، ولهذا أوصت بما يلي: [١]

- المبادرة، حالاً، بتجنيد المتطوعين، وتسليحهم.

- حشد الدول العربية لجيوشها النظامية على مقربة من الحدود الفلسطينية.

- تأليف قيادة عربية عامة، وتعيين المرجع الأعلى لهذه القيادة من جميع الدول العربية.

- البدء بمد عرب فلسطين بما لا يقل عن عشرة آلاف بندقية، وبمقادير كافية من الرشاشات والقنابل اليدوية، والمتفجرات، وما إلى ذلك من الأسلحة.

- وضع ما لا يقل عن مليون دينار أردني، تحت تصرف اللجنة العسكرية، لتموين القوات الفلسطينية.

- مبادرة الدول العربية لشراء أكبر كمية ممكنة من الأسلحة، والأعتدة، وأن تدخرها لتموين المجاهدين.

- حشد أقصى ما يمكن من الطائرات المقاتلة والقاصفة في المطارات القريبة من الساحل الشرقي للبحر المتوسط، لمراقبة المواصلات البحرية، والحيلولة دون وصول النجدات إلى اليهود من وراء البحار.

لكن الجامعة لم تبد أي اهتمام لتنفيذ المقترحات المتقدم ذكرها، باستثناء تخصيص مليون دينار، والوعد بإرسال كميات من السلاح. تَرى

(١) **المصدر نفسه**، ص ١٩.

هل كان تغيرمن الوضع شيئًا لو نفذت تلك الإقتراحات؟ موقف الجامعة حدا باللجنة العسكرية إلى حصر جهودها في [١]:

تزويد المناطق الفلسطينية المعرضة للخطر اليهودي أكثر من غيرها، بما لديها من سلاح وعتاد، حتى تتمكن تلك المناطق من الدفاع عن نفسها.

جمع أكبر عدد ممكن من المتطوعين، من فلسطين، ومن سائر البلاد العربية، وتدريبهم، وتسليحهم، وتشكيل وحدات مقاتلة منهم.

اللجنة القومية:

أدرك المقدسيون مدى الحاجة إلى تنظيم صفوفهم، فقاموا، في ٢٦ كانون الثاني/ يناير، بتكوين لجنةٍ قوميةٍ، قوامها: [٢]

الدكتور فوتي فريج، الشيخ أسعد الإمام، حنا عطا الله، توفيق وفا الدجاني، الحاج طاهر بركات، المحامي تحسين كمال، شريف صبوح، المحامي أنور نسيبة، صالح عبده، الحاج فوزي الخياط، الحاج عيد عابدين، جميل وهبه، يوسف عبده، المحامي وديع صلاح.

تولت هذه اللجنة الإشراف على شؤون المدينة، وراحت تعمل في عمارة لدير الروم، بين حارة النصارى وباب الخليل. وأرادت أن تشترك في شؤون الدفاع، فأشير عليها بأن تحصر أعمالها في الشؤون الإدارية، على أن تنحصر شؤون الدفاع في اللجنة العسكرية.

---

(١) **المصدر نفسه**، ص ١٩ - ٢٠.

(٢) **المصدر نفسه**، ص ٩٤ - ٩٥.

أما القوات الصهيونية في فلسطين، فحين صدر قرار التقسيم، كانت مؤلفة من: [١]

الهاغاناه:

هي القوة الرئيسية، والفعالة، في ساحة القتال، ويكفي القول بأنها نظمت على أساس أن تكون جاهزة لأن تصبح جيش دولة إسرائيل، يوم إعلان قيامها. وقد استطاعت الصهيونية أن تستفيد، إلى أقصى حد، من تدريب الشبيبة الصهيونية، تدريبًا عسكريًا متقدمًا، حين دفعت عناصرها إلى الانخراط في صفوف الجيش البريطاني، والجيوش الحليفة، في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥)، ثم استطاعت، في العام ١٩٤٤، أن تقنع الحكومة البريطانية بتشكيل فرقة (مجموعة ألوية) صهيونية مقابلة، قوامها ٢٦ ألف جندي، تدربت، وعملت في ساحة العمليات في إيطاليا، كما أنها فتحت مدرسة لهذه الغاية في مستعمرة مشمار هايمك، شرق حيفا، وحينما انتهت الحرب العالمية الثانية، انشغلت الهاغاناه في تهريب الصهاينة إلى فلسطين، وانضم إليها " الفيلق الصهيوني " في إيطاليا، ليصبحوا النواة المقاتلة في الهاغاناه. وبلغ عدد أفرادها ما يقرب من ٢٠ ألف مسلح، و ٣٠ ألف احتياطي. انقسمت الهاغاناه إلى أربعة عناصر:

١- البالماخ: وهي القوات الضاربة، أو الكوماندوز، وبلغ تعدادها ثلاثة آلاف مقاتل، توافرت لهم جميع صنوف الأسلحة المساعدة، ووسائط النقل الآلي، والخدمات الميدانية اللازمة.

(١) الشنطي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٤٤ - ٤٥.

٢- الجيش المحارب: أو قوة الميدان (حيل هسديه)، وهي القوة الأكبر حجمًا، وضمت الشباب المدرب عسكريًا، الذي بلغ تعداده ثلاثين ألف مقاتل، متخصصين في العمليات الهجومية، والدفاعية، معًا.

٣ - الحرس الوطني: أو قوة الحراسة (حيل همشمار)، مهمتها حراسة المستعمرات، والمراكز العسكرية، والدفاع عنها، وضم جميع المستوطنين اليهود، بمن فيهم غير المسلحين.

٤ - كتائب الشبيبة: ضمت الشباب المتطوعين، دون سن ١٧ سنة، وتحولت، تدريجيًا، إلى كتائب محاربة، وقوات احتياطية.

كما كانت هناك قوات إرهابية صهيونية أخرى، من أبرزها:

الأرغون وشتيرن: وقد عملتا على تصفية الوجود العربي في فلسطين، ونشر الرعب، لترحيل الفلسطينيين، من خلال عملياتهما الإرهابية على المدن والقرى العربية، من أجل إبادة أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين.

المناضلون الفلسطينيون، والقوات الصهيونية في الميزان:

كان ميزان القوى البشرية المقاتلة، الفلسطينية والصهيونية، في حرب ١٩٤٨، في الأشهر الستة التي سبقت دخول الجيوش العربية إلى فلسطين، على النحو التالي: ١٢٠٠٠ مناضل فلسطيني وعربي، مقابل ٦٧.٠٠٠ مقاتل صهيوني. أي أن عدد الصهاينة خمس أضعاف عدد المقاتلين الفلسطينيين. ومع علم الحكومات العربية وجامعة الدول العربية بذلك، إلا أنها ظنت أن بإمكان القوات الفلسطينية القضاء على الصهاينة، في مدة أسبوع أو أسبوعين، وحدها، دون تدخل الجيوش العربية!

تدل تلك الأرقام على أن قوة اليهود كانت، قبل بدء القتال ١٩٤٨، عبارة عن: [١]

العدد

٢٠.٠٠٠ جندي دربوا، تدريبًا كاملاً، وكانوا مزوّدين بالسلاح الكامل.
١٠.٠٠٠ جندي دربوا، تدريبًا كاملاً، وكانوا مزودين بالسلاح الكامل.
٣٠.٠٠٠ جندي دربوا، تدريبًا جزئيًا، ولم يزوّدوا بالسلاح.

٦٠.٠٠٠ هؤلاء ينتمون إلى عصابة الهاغانا.
٦.٠٠٠ مسلحون ينتمون إلى عصابة الأرغون، وكانوا مسلحين.
١.٠٠٠ مسلح ينتمون إلى عصابة شتيرن، وقد عهد إليهم بأعمال التخريب.

٦٧.٠٠٠

أما ما يخص التسليح:

فكانت كميات السلاح التي بقيت في حيازة " الهاغاناه "، يوم إعلان التقسيم، بحسب تقرير قسم التسليح، على النحو التالي [٢]:

	مدافع هاون ٣بوصة	مدافع هاون ٢ بوصة	بنادق مضادة للدروع	رشاشات متوسطة	رشاشات	بنادق	مسدسات	رشاشات	قنابل يدوية

(١) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٣٢.
(٢) حرب فلسطين...، **مصدر سبق ذكره**، ص ٧٧.

مستعمرات	٨	٢٢٩	٢	٣٢	٤٤٠	٨٨٩٩	٣٢٩٦	١٥٧٩	٦٠٣٧
قوة الميدان المعبأة	٢٠	١٠٢	٠	٣٠	٩٦	٥١٧	١٣٤	٥٩٤	٥٢٢٨
البالماخ	١٢	٤٧	٢	١١	٧٤	٦٥١	١٠٠	٣٥٨	٣٣٨٦
قواعد مركزية	٤٤	٢٢٢	١٢	٨٤	١٦٥	٥٩٥	٣٠٠	١١٣١	٣٩.١٠٠
المجموع	٨٤	٦٧٠	١٦	١٥٧	٧٧٥	١٠.٦٦٢	٣٨٣٠	٣٦٦٢	٥٣.٧٥١

obeikandl.com

عدد أسلحة القوات الفلسطينية، مابين شهر كانون الثاني يناير، و١٥ آيار/مايو ١٩٤٧ [1]

في الأرياف	البنادق
غربي الجليل	١٤٠
جنوب شرقي الجليل	٢١٠
إقليم حيفا	٢٥
منطقة طولكرم	١٣٠
منطقة يافا	١٥٠
منطقة القدس	٢٥٠
منطقة غزة	١٥١
المجموع	١٠٥٦
في المدن	**البنادق**
القدس	٣٨١
يافا	٢٦٤
حيفا	٣٧٠
غزة	١٥٠
بيسان	٢٠٠
عكا	٣٠
طبرية	٩٧
صفد	٧٢
المجموع	١٥٦٤

هنا يتضح الاختلال الكبير في التسليح، لصالح الصهاينة

(١) الشنطي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٧٣.

obeikandl.com

فقد كانت سلطات الانتداب البريطاني قد حرمت الفلسطينيين من مجرد حمل السلاح واستعماله، وبالطبع من اقتناء أي منه. في المقابل حرصت تلك السلطات على تسليح الصهاينة، بذريعة الدفاع عن أنفسهم على اعتبار أنهم الأقلية! لهذا راح المجاهدون من أبناء فلسطين يبحثون عن السلاح في كل مكان. فريق منهم ذهب إلى السلوم، والعلمين، وسائر أنحاء القطر المصري، وليبيا، وبر الشام. واشتروا ما وجدوه هنا وهناك، والبعض لجأ إلى اللجنة العسكرية بدمشق، يرجوها أن تمده بما لديها من سلاح، ولكن كيف لها أن تلبي رغبة هذا البعض، وهي نفسها لا تملك منه شيئًا؟!

أما الأسلحة التي وصلت أبناء فلسطين من الدول العربية، فكانت شحيحة، حيث كانت تلك الدول ترسل القليل منها، كما انتصبت صعوبات، أيضًا، في وصولها، بالإضافة لأن معظمها كان غير صالح للاستخدام.

في المقابل، بدأت الأسلحة تتدفق على إسرائيل، ومعها تدفقت الأموال والتبرعات من المنظمات الصهيونية في العالم الغربي، وبخاصة من الولايات المتحدة الأمريكية، إلى الوكالة اليهودية. وكان مبعوثو " الوكالة اليهودية " يجوبون مختلف أنحاء اوروبا، لشراء الأسلحة، والذخائر من مخلفات الحرب العالمية الثانية. كما عملت " الوكالة اليهودية " على تسليح قواتها بمختلف أنواع الأسلحة، فأقامت المصانع لإنتاج الأسلحة الخفيفة، ومختلف أنواع الذخائر.

عدد الشهداء من أبناء فلسطين [١] :

العدد

١٩٥٣ شهداء تمكن من إحصائهم ومن معرفة أسمائهم، وتاريخ، ومواضع استشهادهم.

٤٠٠٤ شهداء لم يتمكن من معرفة أسمائهم، وتمكن من تحديد عددهم، وتاريخ، ومواضع استشهادهم.

٧٠٤٣ شهداء لم يتمكن من معرفة أسمائهم وتاريخ استشهادهم، ولكن تمكن معرفة مواضع استشهادهم.

بالرغم من هذا التفاوت الضخم بين الجانبين، ومن اختلال ميزان القوى، فقد استبسل الفلسطينيون في الدفاع عن مدنهم وقراهم، ضاربين أروع الأمثلة في النضال، بتلك الأسلحة البالية، بل الغريب أن الأشهر القليلة التالية لصدور قرار التقسيم، شهدت أرجحية للجانب الفلسطيني، كما سبق وذكرنا.

المعـــارك:

ثمة معارك عديدة اندلعت بين الفلسطينيين والصهاينة، كما وقعت صدامات كثيرة، في أنحاء مختلفة من فلسطين، حيث النفوس المشحونة، والقلوب المشتعلة، إثر قرار التقسيم، كان أهمها ما وقع في القدس، إذ نسف المناضلون الفلسطينيون شارع هاسوليل، وحي بن يهودا، ودار

(١) عارف العارف، **سجل الخلود: أسماء الشهداء الذين استشهدوا في معارك فلسطين ١٩٤٧ - ١٩٥٢**، الجزء السادس، صيدا - بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، د. ت.، ص ٧.

الوكالة اليهودية، فيما نسف رجال " الأرغون " فندق سميراميس، ونادي الضباط البريطانيين. وفجّرت ألغامهم عند باب العمود، وباب الخليل، ويوم سقوط القسطل، ومذبحة دير ياسين، والتي كانت، بحق، نقطة تحول في ميزان القوى، وما وقع في مدينة يافا، وحيفا، وصفد، وطبريا، وبيسان. ورغم التفاوت في عناصر القوى بين الطرفين، فإن الاشتباكات بين الطرفين لم تتوقف، ومعها النضال المستميت من قبل الفلسطينيين، دفاعًا عن أرضهم ضد العدو، حتى دخول الجيوش العربية، في ١٩٤٨/٥/١٥إلى فلسطين. وعلى سبيل المثال لا الحصر.

بيت صفافا*:

في ٢٥ كانون الأول/ يناير ١٩٤٧، هاجم الصهاينة بيت صفافا، قاصدين قتل روح المقاومة العربية في عاصمة البلاد، القدس، " فأتوها من ناحيتين: رامات راحيل في الشرق، وتولى هؤلاء مهمة الهجوم. ومن ميكور حاييم في الشمال، وكانت مهمتهم الإشغال، وكانوا حوالي مئة وخمسين مقاتلاً. لكن سرعان ما تصدى لهم حماة القرية، وردوهم على أعقابهم، وقاتلوهم بشدة، إلى أن جاء البريطانيون، في ٦ شباط/ فبراير ١٩٤٨، وعسكروا في القرية، للحيلولة دون اشتباك الفريقين، وظن العرب أن الصهاينة لن يجرؤا على دخول القرية، ما دام الانجليز مرابطين فيها، ولا سيما عندما أكد قائد السرية البريطانية أنه لن يسمح

(*) قرية عربية واقعة جنوب القدس، وتكاد تعد حيًا من أحيائها، فيها ألف وخمسمائة نسمة من الأهالي، وهي قائمة على تل مطل على خط السكة الحديدية، التي تربط القدس بيافا، وتل أبيب، وعلى الطريق التي تربط القدس ببيت لحم والخليل، ولهذا وضعها الصهاينة نصب نيرانهم.

للصهاينة بتسلم الموقع، ولكنه أخلف وعده، فتسلم الصهاينة الموقع، وراحوا يسلطون مدافعهم المورتر على بيوت القرية وأهلها، فألقوا ما يقرب من السبعين قنبلة، ومع ذلك صمد المناضلون، وظلوا مرابطين في القرية[١]، وأما باقي الأهالي، من نساء، وشيوخ، وأطفال، فقد رحلوا عن القرية.

يعد هذا الحادث من أهم الحوادث التي وقعت في القطاع الجنوبي، إذ راح الصهاينة، من بعده، يسيطرون على ذلك القطاع، وسدوا الطرق التي تمر من هناك، وتصل بين القدس والمدن الواقعة في جنوبها. ذلك بفضل تآمر وخيانة الانجليز.

لفتـــــا **:

كان اليوم السابع والعشرون من شهر كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤٧ من أيام القدس العصيبة، حيث امتد القتال في المدينة القديمة، وضواحيها، في لفتا، وروميما، وفي حي القطمون، وباب الخليل، وعند طلعة القسطل، وباب الواد. وكانت أخطر هذه الحوادث ما جرى لقافلة صهيونية في المكان المعروف بطلعة القسطل، على طريق القدس - يافا، فقد هاجمها العرب، وقتلوا أربعة من أفرادها، وجرحوا خمسة، منهم جولدا مايرسون، رئيسة الشعبة السياسية في " الوكالة اليهودية "، حينذاك، فانتقم أفراد العصابات الصهيونية، بأن هاجموا قرية لفتا، مسلحين بالمدافع الرشاشة، من نوع ستن وتومي. ولقد أحدث هذا الحادث

(١) العارف، النكبة...، **مصدر سبق ذكره**، ص ٧٥.

(**) قرية عربية، واقعة غربي مدينة القدس، وتكاد تعتبر حيًا من أحيائها.

ذعرًا في لفتا، ورحل عنها معظم أهاليها، ولا سيما عندما تقوى الصهاينة، بالعدد والعدة، ونسفوا معظم المنازل العربية، ولم يكن بيد اللفتاويين، يومئذ، أكثر من خمسين بندقية، وما كانت هذه بكافية، لدرء الشر عنهم، عندئذ خلت القرية من الأهالي، وسدت في وجه العرب طريق القدس - يافا من هذه الناحية[1]. وكان هذا وحادث بيت صفافا أول الحوداث التي أدت إلى رحيل الأهالي عن منازلهم من قطاع القدس.

حصار الحي اليهودي في البلدة القديمة:

في ٢ كانون الثاني/ يناير ١٩٤٨ اشتبك العرب واليهود في قتال بين الشيخ جرّاح ومياشورم، إثر محاولة قام بها اليهود لنسف عمارة الوقف، القريبة من بوابة مندلبلوم، وقد دمروا جانبًا منها. ودام الاشتباك طيلة الليل والنهار، واشترك فيه ما يربو على المائتين من رجال الهاغاناه، ومثل هذا العدد من العرب[2]. واضطر هؤلاء لإطلاق النار على الصهاينة من مدفع رشاش، نصبوه على مئذنة المسجد. وضيّق العرب الخناق على الصهاينة في البلدة القديمة. فحاصروهم في حيهم، حصارًا تامًا. وكان بإمكانهم أن يستولوا على الحي المذكور كله لولا البريطانيون. فلم يجد العرب بدًا من تجويع الصهاينة. ورفض هؤلاء الإنذار الذي وجه إليهم بالتسليم.

معارك الصبيح:

في ساعة مبكرة من صباح يوم ١٩٤٨/٢/٣، اصطدم ثمانية

(١) الشنطي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٤٨.
(٢) العارف، النكبة...، **مصدر سبق ذكره**، ص٧٨.

من أبناء عشيرة الصبيح بفئة من المستوطنين الصهاينة، قوامها عشرون مسلحًا في الأراضي الواقعة بين مضارب العشيرة ومستعمرة كيشت. ورجع الصهاينة إلى مستعمراتهم، تاركين وراءهم سبعة قتلى، وفكروا بالانتقام، ولهذا طلبوا النجدة من قيادة الهاغاناه، فأنجدتهم بعدد كبير من مستوطني المستعمرات المجاورة. لكن الفلسطينيين كانوا أسرع منهم، إذ تنادوا للقتال، وأتتهم النجدة، التي بلغ عددها تسعين مناضلاً، يقودهم المجاهد عبد القادر الفاهوم. وقد تخندقوا حول المستعمرة، على شكل هلال، وكان البرد شديدًا، والأمطار تنهمر بغزارة، عندما بدأ القتال، وراح الصهاينة يقصفون المواقع، التي تخندق فيها المناضلون بقنابل مدافعهم القوية (المورتر)، وقد استعملوا الرشاشات، أيضًا، ولكن ما كانت هذه ولا تلك لتؤثر على المناضلين[1]. ودام القصف ساعتين، ولما رأى الصهاينة بأن القصف لم يجد نفعًا، خرجوا من المستعمرة.

التزم المناضلون الصمت، فلم يطلقوا النار على الصهاينة، تاركينهم يتقدمون، عندئذ شرع المناضلون في إطلاق النار، الأمر الذي أحدث بلبلة في صفوف الصهاينة، فتراجعوا، فلاحقهم المناضلون، حتى السهل، فيما لم يكن لدى المجاهدين أسلحة الثقيلة، أو عتاد يكفي للبنادق الاعتيادية، التي كانت بايديهم، ولقد أكد عبد اللطيف الفاهوم، الذي قاد المناضلين في هذه المعركة،

(١) الشنطي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٤٩.

أنهم أحصوا ما تبقى لديهم من عتاد، فلم يكن بيد الواحد منهم سوى عشر طلقات، وفشل الهجوم، لعدم الاستعداد الكافي للمعركة.

معركة سنهدريا *:

في اليوم العاشر من كانون الثاني/ يناير ١٩٤٨، هاجم فريق من " الجهاد المقدس "، يقدر عدده بمئة مقاتل، الحي المعروف بسنهدريا. ولكن اليهود المرابطين في ذلك الحي تمكنوا من صدهم. وما كان هذا الهجوم ليفشل لو حدث تغير في الخطة الموضوعة، إذ بدأ المشاة الزاحفون في إطلاق النار، قبل وصول حاملي الألغام. فانتبه اليهود، وفتحوا على المناضلين نارًا حامية. وكادوا يحصدونهم، لولا أن أحدهم (عوض الترمسعاوي) سلّط نيران رشاشه على الكشاف الكهربائي، الذي استعمله الصهاينة في كشف مواقعهم، فأعطبه. وبذلك نجا المجاهدون، وقد أصيب أحدهم بجراح [١].

اشترك في هذا الهجوم جماعة من سكان قرى رام الله، كستجل، وترمسعيا، وبيتونيا، والمزرعة الشرقية. وكان على رأسهم عبد القادر الحسيني، يساعده كل من كامل عريقات (أبو ديس ٩)، والشيخ عبد الفتاح المزرعاوي (المزرعة الشرقية)، وابراهيم أبو دية (صوريف).

(*) من الأحياء اليهودية القائمة شمال المدينة، بين حي مياشورم اليهودي وحي الشيخ جرّاح العربي.

(١) العارف، النكبة...، **مصدر سبق ذكره**، ص٨٣.

معركة كفار عصيون الأولى وظهر الحجة:

في ١٤ كانون الثاني/ يناير ١٩٤٨، فشل العرب في الهجوم الذي شنوه على كفار عصيون، الذي كانوا يهدفون من ورائه الانتقام من مستوطني تلك المستعمرة، وهم الذين كانوا أطلقوا النار، في اليوم السابق، على سيارة القنصل العراقي، وهو في طريقه إلى الخليل. وقد اشترك في ذلك الهجوم عدد كبير، قيل أنه جاوز الألفين من أهالي مدينة الخليل وقراها، والقدس، وقراها، ومن بدو بئر السبع. إلا أنهم صدوا عن المستعمرة، وما كان في أيديهم أكثر من بضع بنادق اعتيادية، أضف إلى ذلك أنهم جاءوا في صفوف غير منتظمة، لا يقودهم قائد، وليس لهم هدف معين. وعبثًا حاول الرجال الذين كانوا يتقدمون الصفوف تنظيم صفوفهم. فاستشهد منهم أربعة عشر، وجرح أربعة وعشرون آخرون[١].

لكن العرب سرعان ما انتقموا لأنفسهم من الصهاينة. بعد يومين من تاريخ المعركة، عندما قدم فريق من الصهاينة من ناحية (عرطوف)، لنجدة إخوانهم في (كفار عصيون). وما أن اقترب الصهاينة المسلحون من قرية صوريف، وأحس بهم أهالي تلك القرية، حتى تصدوا لهم، وراحوا يطاردونهم، إلى أن أرغموهم على الاعتصام بجبل (ظهر الحجة)، الواقع شمال القرية، وعلى بعد أربعة كيلومترات منها. ورغم أن هذه النجدة الصهيونية كانت مدججة بالأسلحة الأتوماتيكية، وبجهاز لاسلكي، وكانت كبيرة العدد، فإن المناضلين العرب تمكنوا من التغلب عليها، فأبادوها عن بكرة أبيها. واستشهد أربعة من المناضلين، مقابل ٤٠ صهيونيًا، معظمهم من الشباب، وطلاب الجامعة العبرية.

(١) **المصدر نفسه**، ص ٨٣ - ٨٥.

معركة بيت سوريك:

في ٢٥ /١ / ١٩٤٨، علم المناضلون بأن قافلة صهيونية ستمر من باب الواد، والقسطل، في طريقها إلى القدس، وأن الزعيم الصهيوني حاييم وايزمان فيها، فوقفوا لها بالمرصاد، وزرعوا الألغام في الطريق قرب القسطل، وترأس عبد القادر الحسيني ستين مجاهدًا في انتظارها، فيما كان فوزي القطب، وكامل عريقات، مع مفرزة تدمير، جاهزين لنسف الآليات على الطريق، ودامت المعركة يومين. ولكي يخفف الصهاينة الضغط عليهم، أرسلوا قوة من البالماخ إلى قرية بيت سوريك، القريبة من الطريق وحاصروها. وذاع الخبر بأن عبد القادر وصحبه في خطر، فتوالت النجدات الفلسطينية من القرى المجاورة، وحضر إلى الميدان أكثر من ألف مجاهد مسلح، عندئذٍ، تدخل الجيش البريطاني، كعادته في الوقت الحرج بالنسبة للصهاينة، ليخرج القافلة ويعيدها، وارتد الصهاينة إلى الوراء، تاركين وراءهم أربعة وثلاثين قتيلاً، وسبعة وعشرين جريحًا[١].

ميكور حاييم:

في ١٣ آذار/ مارس ١٩٤٨، هاجم المناضلون الفلسطينيون مستعمرات ميكور حاييم، للمرة الثانية، كما هاجموا مستعمرات رامات راحيل، وتل بيوت، الواقعة جنوب القدس. وتمكنوا من احتلال جانب كبير من ميكور حاييم. لكن الانجليز، المرابطين على مقربة من تلك المستعمرة، أنذروا المناضلين بالانسحاب، فانسحبوا، حيث لم يكن في

(١) الشنطي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٤٩.

مقدورهم أن يقاتلوا جيشين، في آنٍ، ورغم هذا لم ينقطع تبادل النيران، ولم ينته القتال، إلا عندما تدخل الإنجليز، فقذفوا العرب بعدد من قنابلهم من مدافع الهاون، وصدوهم إلى الوراء[١].

معركة القسطل*:

في ٣ نيسان/ إبريل ١٩٤٨، احتل رجال البالماخ قرية القسطل، بهدف السيطرة على طريق تل أبيب - القدس، ليتمكنوا من تموين القدس، التي كانت مطوقة بالعرب من كل جانب، وكان مئة ألف من سكانها اليهود، على وشك الموت جوعًا، حتى أنهم حاولوا، عبثًا، أن يقنعوا العرب بوساطة المندوب السامي البريطاني في القدس، كي يسمحوا لهم بمرور سبع سيارات، محمّلة قوتًا لإطعام سكان القدس. ولم يكن في القرية، عندما جاءها اليهود، سوى عدد ضئيل من المناضلين، لا يزيد عن الخمسين من أبنائها، وما كان باستطاعة هؤلاء أن يصدوا اليهود، الذين جاؤوا القرية العربية بقوات كبيرة، ولم تكن القرية محصّنة، تحصينًا كافيًا، ومع ذلك فقد دافعوا عن قريتهم، دفاع الأبطال، ولم ينسحبوا منها، إلا بعد أن نفذت ذخيرتهم، وسقطت القسطل بأيدي الصهاينة. على أن المناضلين العرب سرعان ما استعادوها، وقاد الهجوم كامل عريقات، الذي تمكن من الصمود فيها، حتى ٣ نيسان/ إبريل، قبل أن تنفذ ذخيرته، إلا أنه أصيب بجراح، ونقل إلى القدس، برغم معارضته، ولم يحظ عبد القادر الحسيني - وكان قد غادر قبل ايام إلى

(١) **المصدر نفسه**، ص ٥٠.

(*) قرية عربية صغيرة، واقعة على بعد خمسة أميال إلى الغرب من القدس.

دمشق في محاولة للحصول على أسلحة من اللجنة العسكرية - بأكثر من ٥٠ بندقية، و٣ مدافع رشاشة[١]، وحينما رجع إلى القدس، وعرف بوقوع رجاله، الذين استبد بهم التعب، في حالة حصار في القسطل، أرسل بطلب المزيد من المقاتلين، فأمده " أبو دية " ** بثلاثمائة من ميليشيا القطمون، وانطلقا على رأس هذه القوة، لمهاجمة القسطل، بهدف كسر الحصار. ولم يكن الشك يخامر الحسيني حول الكيفية التي ستنتهي بها المعركة. واختار المناضلون طريق الاستشهاد، ووزع الحسيني المهمات على الشكل التالي، لاسترجاع القسطل: [٢]

- سرية القطمون في الوسط، على الطريق العام، من الغرب إلى الشرق.

- قوة الجهاد المقدس على يمينها، باتجاه جنوب القسطل.

- جماعة البدو (هارون بن جازي) إلى اليسار.

وأرسل عبد القادر إلى قالونيا عناصر احتياطية، لمنع نجدات الصهاينة من القدس، والمستعمرات المجاورة. بدأ الهجوم بعد الظهر، فتمكن الجناح الأيسر من أن يلتف حول القرية، ولم يستطع القلب والجناح الأيمن أن يصلا إليها، ولما شاهد الحسيني المناضلين يتراجعون، تقدم لوحده، وهو في حالة يأس وانفعال، ودخل القرية، وغاب فيها. وبدأت إشاعة استشهاده تدور على الألسن، إلا أن ألفي فلسطيني، تشجعهم

(١) **المصدر نفسه**، ص٥٢ - ٥٣.

(**) ابراهيم أبو دية، أحد قادة المجاهدين الفلسطينيين، إبان ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩.

(٢) **المصدر نفسه**، ص ٥٤.

هتافات نسائهم، والزغاريد، برغم الحزن المسيطر على المدينة، قاموا بمصادرة كل ما يتحرك على عجلتين في المدينة، واتجهوا، مجردين من السلاح، جميعًا تقريبًا لمهاجمة القسطل. وفي صباح ٤/٨ جاءت مجموعة من " جيش الانقاذ "، واقتحمت القرية من الشمال ودخلتها، وأسرت الصهاينة، الذين انحصروا فيها، ووجدت جثمان الشهيد عبد القادر الحسيني في مدخل القرية، مصابا بشظايا قنبلة. لقد كان لاستشهاد الحسيني أثر سيىء في النفوس، أحبط همم المناضلين، وأفقد المعركة قيمتها التعبوية، وخسر نتيجتها المرجوة، وهي المحافظة على الموقع الحصين، وقطع طريق القدس. ولما كان جميع الرجال، تقريبًا، قد أصروا على أن يمشوا في جنازة الحسيني، فإنه لم يبق في القسطل أكثر من أربعين مقاتلاً، وفي الليلة نفسها، قامت فرقتان من البالماخ بتجديد القتال، فسقطت القسطل في أيدي الصهاينة [١].

معركة الماصيون:

رابطت جماعة من المسلحين الصهاينة في الطريق لاعتراض السيارات العربية، وفي إحدى محاولاتهم اعترضهم العرب، حينما كانوا يصعدون تل الماصيون بمنطقة رام الله، ودارت المعركة، وانتصر المناضلون الفلسطينيون، وقتل أحد عشر من الصهاينة، ورفع ستة أيديهم، رامين سلاحهم، معلنين استسلامهم، وحينما تقدم المناضلون لتسلمهم رماهم أحد الصهاينة بقنبلة يدوية، فسلط المناضلون رصاصهم عليهم، وأبادوهم[٢].

(١) **المصدر نفسه**، ص ٥٧.

(٢) صالح مسعود أبو يصير، **جهاد شعب فلسطين - خلال نصف قرن**، بيروت، دار الفتح للطباعة والنشر، ١٩٦٨، ص٣٢٧.

معارك يافـا:

كان وضع يافا دقيقًا، لتجاورها مستعمرات كبيرة، هي تل أبيب، وملبس، ومكفا إسرائيل، وبيت فجان، وهايكفاه، وحولون، بينما كانت أحياء يافا المتطرفة تتصل بثكنتي درويش باشا، وتل الريش، التي يعسكر فيها الجيش البريطاني. لذلك ألّف أهل يافا لجنة قومية، أشرفت على الدفاع، بقيادة حسن سلامة، وجندت ٥٤٠ مناضلاً، استلموا ٢٨٤ بندقية من " الهيئة العربية العليا "، وأرسلت لهم اللجنة العسكرية، في ١٣/ ١٩٤٧/١١، مئة بندقية فرنسية، ووزعت " اللجنة القومية " للمدينة وحدات المناضلين إلى عناصر ثابتة للدفاع، تكونت من ٣٥٠ مناضلاً، إضافة إلى قوة متحركة، أثناء الهجوم، تألفت من ١٩٠ مناضلاً، اهتم المناضلون الفلسطينيون بتوزيع قواهم على الأحياء المجاورة للصهاينة، وقد جاء في أحد كشوف يافا، في ١٩٤٨/٣/٢، ما يلي: (١)

الجبالية: ٨٧ رجلاً معهم ٥٩ بندقية، أبو كبير: ١٣٠ رجلاً معهم ٥٠ بندقية، و٤ رشاشات خفيفة، كرم التوت: ٣٢ رجلاً، معهم ١٢ بندقية، المسلخ: ٣٥ رجلاً، معهم ١٦ بندقية، ورشاش خفيف، أبو الديوك: ٥٢ رجلاً معهم ٢١ بندقية، طاسو:٣٢ رجلاً معهم ٢١ بندقية، تل الريش: الجهة الجنوبية الغربية، ١٢٩ رجلاً معهم ٦٠ بندقية ورشاش. الأمر الذي يعكس مدى قلة الذخيرة، وتدني مستواها، بما لا يتناسب مع هدف

(١) الشنطي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٥٨، لمزيد من التفاصيل انظر (أبو يصير، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٥٨ - ٣٧٢).

الدفاع عن مدينة كبيرة.

في ٣/٥ أمدت قيادة " جيش الإنقاذ " يافا بسرية، فارتفع عدد المدافعين إلى ١٥٠٠ مقاتل، استطاعوا أن يشددوا الضغوط على الصهاينة.

في ٤/٢٨ شن الصهاينة هجومين كاسحين على يافا، أحدهما على تل الريش، والآخر على المنشية الفوقا، في وقتٍ واحد، مزودين بعدد كبير من المدرعات، واندلعت بينهم وبين المناضلين الفلسطينيين معارك طاحنة، وقيل أن الصهاينة خسروا في تل الريش مائة قتيل، وغنم العرب ست مدرعات، وإن نجح الصهاينة في دخول أطراف حي المنشية[١].

بعد ذلك سادت الفوضى في يافا، وساء الحال فيها، بعد الأخبار عن سقوط القرى المجاورة لها، مثل، الخيرية، وساقية، وكفر عانة، وتطويق قرية سلمة الباسلة. وانسحب قائد جيش الإنقاذ، بعد فشله في أن يسيطر على الفوضى، التي سادت المدينة، مستعينًا برجال الجيش البريطاني.

في ١٩٤٨/٥/١٤، اقتحم الصهاينة يافا، ورفعوا الأعلام الإسرائيلية على مبانيها، وعملوا فيها نهبًا وسلبًا. ولم يبق من أهالي يافا العرب سوى ٤ آلاف نسمة. وبسقوط يافا انفتح طريق اللد والرملة أمام الصهاينة.

معارك حيفا :

لم يكن في حيفا أسلحة كافية، وكان إمدادها صعبًا جدًا، نظرًا لكثرة المستعمرات حولها، ومع ذلك شكل الفلسطينيون لجنة دفاع لكل حي

(١) العارف، النكبة...، **مصدر سبق ذكره**، ص٢٢٦.

عربي. وأرسلت اللجنة العسكرية بدمشق إمدادات عسكرية إلى أهالي حيفا، ولكن الوضع في المدينة كان سيئًا للغاية، فبعض البنادق المرسلة إلى حيفا عاطلة، وغير صالحة، ورفض رئيس اللجنة القومية استلام البنادق المرسلة إليه، ولم يستلم منها سوى ٨٩ بندقية. عندئذٍ قررت اللجنة العسكرية بدمشق ارسال ٣٠٠ بندقية وألف قنبلة يدوية.

بالرغم من قلة السلاح والعتاد، واختلاف القادة، بذل المجاهدون من أبناء حيفا والقرى المجاورة ما في وسعهم للتغلب على الصهاينة، واشتبكوا في قتالٍ مرير معهم، غير مرة. وفي ١٩٤٨/٣/١٧، مرت بعكا، باتجاه حيفا، قافلة سياراتٍ عربية فيها تموين وأسلحة، وذخيرة ومتفجرات، ومعها قائد حامية حيفا، الملازم الأول محمد الحنيطي، ولما وصلت القافلة إلى مقربة من مستعمرة موتسكين، يمين عكا وحيفا - وكان الصهاينة قد ترصدوا لهذه القافلة على الطريق - اشتبكوا مع العرب واستشهد في المعركة ١٤ عربيًا، بينهم محمد الحنيطي[١]، وعلى أثر ذلك ساء الوضع في حيفا. وفي ١٩٤٨/٤/٢١، سَلَّمَ البريطانيون مواقعهم المتاخمة لحيفا إلى القوات الصهيونية، رغم وعود البريطانيين السابقة للعرب، وبذلك سقطت حيفا.

نقاط التفوق والإخفاق في أداء المناضلين الفلسطينيين[٢]:

- أظهروا براعة ومهارة واضحيين في أعمال حرب العصابات.
- تفوقوا في المقاومة القائمة على الفداء والاستبسال.

(١) **المصدر نفسه**، ص ٢١٦.
(٢) الشنطي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٦ - ٦١.

- تمكن المناضلون من إرهاق المستعمرات الإسرائيلية، رغم الإرهاب الذي تعرض له الفلسطينيون من قبل السلطات البريطانية.

- كانت القرى الفلسطينية تقف مجاهدة، تصد العدوان، بوسائلها الدفاعية الضعيفة.

- لجأت عناصر " الجهاد المقدس " إلى الدفاع عن الأحياء والقرى، بدلا من أن تلجأ المقاومة التطوعية من رجال " الجهاد المقدس "، في مواجهة المنظمات العسكرية الصهيونية المدرّبة، إلى حرب عصابات، لإنهاك العدو، واستنزافه.

بالرغم مما اتصف به قتال المناضلين من استبسال وشجاعة وصمود، فإن النتائج التي آل إليها الوضع، تجعلنا ندرك الأخطاء السياسية والعسكرية، التي وقعت فيها القيادة العسكرية الفلسطينية، آنذاك، والتي تمثلت في:

١ - عدم تقدير حقيقة العدو، وجهل التفاصيل عن شؤونه العسكرية، والاستهانة بقوته.

٢ - عدم قيام القيادة السياسية بتعبئة كاملة لجميع القوى العسكرية، والاقتصادية، والسياسية.

٣ - افتقاد القيادة العسكرية الموحدة.

٤ - الافتقار إلى الاستراتيجية الواضحة.

في ضوء ما تقدم، يمكننا رؤية مدى نضال، وجسارة الشعب

الفلسطيني، رغم الفارق الضخم في الإمكانات، والتسليح، بين الجانبين، الفلسطيني والصهيوني، ومع ذلك لم يرضخ الشعب الفلسطيني، أبدًا، ولم يستسلم، وكانت المقاومة هي أهم ثوابت الشعب الفلسطيني، التي قد تخفت حينًا، تحت مطارق الأزمات، وتوالي العواصف، لكنها لا تتلاشى، أو تتوقف، ولا يتخلى عنها الشعب الفلسطيني، كخيار استراتيجي.

* * *

obeikandl.com